مجلة "روز اليوسف" تشيد بكيسنجر وباتفاقية سيناء والسادات الذي لا يخطئ!

من شخص رئيس الجمهورية يعني فقدان كل شيء بالنسبة اليهم ... « لا تخضبوا وترمونا بالتجني عليكم فنحن نعرف انكم تكذبون عن الفضائح والسرقات في القطاع العام .. وكما تعرفون فلستم الوحيدين الذين يفعلون ذلك كما وانكم عندما تفعلون ذلك فانما تفعلونه انطلاقا من حرصكم على النظام وحمايته وليس التشهير به وبالطبقة البرجوازية الحاكمة واشكال استغلالها للكادحين . وتكتبون عن التزوير في الانتخابات - باستثناء الاستفتاء على رئيس الجمهورية بالطبع - كما وانكم قد تهاجمون هذا المسؤول أو ذاك .. كل هذا ، كما تعرفون ، لا يخيف السلطة أو يقلقها طالما يدور في اطار الحرص على مصلحة النظام القائم ويظل « السادات » في نظركم يقف فوق كل الطبقات كحاكم عادل ، وطالما يؤدي ذلك الى شد الجماهير الى حظيرة جبهته الداخلية » .

حتى تحتفظوا بوظائفكم

« ولكننا نتوجه اليكم بنصيحة نابعة من حرصنا على ان تظلوا محتفظين بوظائفكم » : حذار من محاولة توجيه أي نقد لسياسة السادات الخارجية أو العربية أو .. بالتحديد اتفاقية سيناء أو الاقتراب بالنقد للانفتاح .. حذار من التمادي في فضح الانتخابات .. اذ يبدو انكم من كثرة تكرار الكتابة عن ديمقراطية النظام بعد ١٥ مايو (أيار) - ما يسمى بحركه التصحيح - قد صدقتم انفسكم . فبرغم نفاهة ما تتوجهونه من انتقادات، تجري على أرض النظام والحرص عليه ، الا ان ديمقراطية النظام المزعومة لا تتسع حتى لهذا . فالمودة قائمة بين النظام ومجلة تدافع عنه كأخلص تابع وذيل . الا ان ادعاءها اليسارية يفرض عليها احيانا ان تشتط بعض الشيء - وتوجه نقدا هنا أو هناك لبعض أوجه القصور . فمرة ثانية حذار .. حذار غير اننا برغم ذلك لا نعتقد ان « روز اليوسف » ترى الديمقراطية كما يراها حتى الليبراليون البورجوازيون . فلقد وقفت بحسم الى جانب النظام أثناء مناقشة « ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي » فعندما قامت الرأسمالية الخاصة تبحث لنفسها عن اشكالها السياسية المستقلة المعبرة عن مدى ما وصلت اليه من قوة اقتصادية في الواقع وارتفعت معها بعض الاصوات الليبرالية وتجاوزت الاطار المرسوم لمناقشة « ورقة التطوير » ونادت بحرية الاحزاب السياسية وحل الصيغة الديكتاتورية للاتحاد الاشتراكي ، سارعت السلطة واحضرت رجالها .. الارستقراطيين العماليين لمهاجمة الاحزاب والدفاع عن الاتحاد الاشتراكي . ولقد كان من واجب القوى الثورية والديمقراطية في ذلك الوقت ان تطالب لنفسها بحق تكوين الاحزاب ، ولان « روز اليوسف » لا تعبر عن هذه القوى الثورية ، وانما هي ذيل من ذيول السلطة، فلقد وقفت الى جانب السلطة وتالت عن الدور الذي لعبته الارستقراطية العمالية انه « الصوت الوحيد الذي كان مفتقدا في هذا الحوار كله » !

عداء لحركة الطلبة

وحتى أبسط أشكال حرية الصحافة (مجلات الحائط) فان « روز اليوسف » تتخذ منها موقفا متحفظا ، بل وتراها خطرا . ونجد ذلك في عدد ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ في التحقيق الصحفي الذي كتبه ثلاثة من محرريها عن الانتخابات وجاء فيه انه « ما دام كل طالب اصبح قادرا على اعلان رأيه الخاص عن طريق فرخ من الورق يلصقها على حائط الكلية فما حاجته الى منبر اتحاد الطلبة أو الاتحاد الاشتراكي أو أي تنظيم جامعي اخر (....) وقد يعني هذا ان مجلات الحائط التي بدأت ظاهرة صحية في جامعتنا قد تحولت الى خطر يهددها ... ويزرع فيها الفردية والسلبية ويصرف ابناءنا فيها عن العمل السياسي والاجتماعي المنظم وهو العمل الوحيد المثمر حقا .. » !

هكذا تنظر « روز اليوسف » الى أبسط اشكال الحريات الديمقراطية فهي لا يمكن أن تكون في نظرها الا من خلال شرعية النظام وتنظيماته البوليسية .. فمجلات الحائط التي استطاع الطلاب في الجامعة ان يعلقوها ويكتبوا فيها آراءهم بحرية بعيداً عن وصاية السلطة وسيطرة أجهزتها .. ما حاجة مجلة « كروز اليوسف » الى الدفاع عنها أو عن الاشكال الديمقراطية المستقلة عن سيطرة السلطة ، مهما تكن بساطتها ، طالما هي لا ترى في اتفاقيات الخيانة والانفتاح الشامل على الغرب الاستعماري .. الكارثة الوطنية التي احدقت ببلادنا ولا ترى ان رأس النظام نفسه هو الذي يقود الردة الوطنية الشاملة ؟ وبالتالي فطالما هي تعمي عن رؤية كل هذا فما قيمة أي سلاح ديمقراطي في نظرها تتسلح به الجماهير في مواجهة تلك الردة الشاملة مهما تضاءلت فاعلية هذا السلاح ؟

كيسنجر « التقدمي »

ولنناقش الان موقف « روز اليوسف » من القضية الوطنية من خلال موقفها من اتفاقية سيناء الموقعة بين « النظام المصري والاستعمار الاميركي واسرائيل » . ان « روز اليوسف » تتخذ موقفا منحازا تماما الى جانب النظام المصري في توقيعه للاتفاقية الثانية على جبهة سيناء وهي تعمل جاهدة لطمس معالم هذه الاتفاقية والاخطار الحقيقية التي جاءت بها . ولقد بلغ بها الامر الى حد ان أحد محرريها وهو المدعو « عبد الستار الطويلة » قام بمحاولة « تعميق » وتجميل كيسنجر ممثل الامبريالية الاميركية حتى يصور قبحه الاستعماري بصورة جذابة . فقد وجه الصحفي سؤالا الى كيسنجر في مؤتمر صحفي باستراحة المعمورة عن مدى قوة التيار المتقدم الذي ينتمي اليه روزفلت وكنيدي وكيسنجر (!)

وبالطبع لم يفهم كيسنجر تلك العقلية الذيلية الغريبة التي تعمل جاهدة على ألا يبدو السادات قبيحا وخائنا وهو يوقع اتفاقا استسلاميا مع الطرف الاستعماري . فهذه العقلية الذيلية لا ترى غضاضة في اعادة النظر في مفهوم الامبريالية ولا تستحي من ان تعتبر ان هناك « تيارا أو جناحا متقدما » في السلطة الاميركية . ولا بد - في نظر اصحاب هذه العقلية - من أن يكون الطرف الاميركي (الذي يوقع الاتفاقية مع السادات) منتميا الى هذا التيار أو الجناح « المتقدم » !!

استخدام بارع للذيول

وتطالبنا « روز اليوسف » من عدد ٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ بهجوم معاكس على الهجوم الذي شنته القوى الوطنية التقدمية العربية ضد اتفاقية سيناء . ودعت المجلة معارضي الاتفاقية الى الاشتراك فيما اسمته « مؤتمر للقوى الوطنية التقدمية » والكف عن معارضة الاتفاقية «والانفاق

اولا على أن النظام المصري والسادات لا يمكن أن يوصفا بالخيانة » .

وعلى هذا الاساس بذلت المجلة كل ما تستطيع لوقف الهجوم على الاتفاقية وللتخفيف بقدر الامكان من رد فعلها عربيا ومحليا .

غير ان الدعوة لهذا المؤتمر ، برغم الضجة الاعلامية التي اثارتها « روز اليوسف » حولها ، لم تجد استجابة .. ويبدو ان النظام المصري من جانبه لم يصر على الاستمرار في توجيه الدعوة بعد أن رأى ان ذلك لن يغير من واقع الفضيحة كما وان الدعوة نفسها قد افتضح الهدف من ورائها ولهذا فقد توقفت .

ويعرف النظام في مصر كيف يستخدم ببراعة هذه « الذيول » من دعاة اليسارية . فعندما حدث انقلاب هاشم العطا في السودان ارسل النظام وفدا من محرري المجلة ليطلب الحفاظ على حياة « النميري » ! وعندما يكون هناك مؤتمر لاي قوى تقدمية في الخارج ويجد النظام ان له مصلحة ما فيه في الاشتراك فيه .. يبعث بوجه من هذه الوجوه اليه ، واذا كانت له مصلحة في تسوية اي مشكلة معاهدى الدول الاشتراكية يبعث باحدهم الى هناك !

وكتب « صلاح حافظ » في نفس العدد المذكور من المجلة مقالا بعنوان « أزمة الاتفاقيات وأزمة العرب » يبدأه بأخبارنا عن تحرك المظاهرات « ضد مصر » . وهو يخلط هنا متعمدا كما يفعل كتاب « روز اليوسف » بين مصر الشعب وبين الطغم الحاكمة .. ثم يحمل بعد ذلك على العرب بسبب « جهلهم بكيفية ممارسة الخلاف . الامر الذي يؤدي بهم الى توسيع شقة الخلافات التي تستفيد منها أميركا واسرائيل » !

فالعيب ، اذن ، ليس من السبب الذي أوجد الخلافات وانما من أولئك « الجهلة » الذين لا يعرفون - من نظرة - كيف يختلفون بطريقة « مهذبة » مع النظام الحاكم في مصر كما يرغب السيد صلاح حافظ .

لغة الجواسيس

ويكتب « عبد الرحمن الشرقاوي » في نفس العدد ، بأسى بالغ وحزن شديد ، ليقول انه لا يصدق هذا الموقف الذي يتخذه الاخوة العرب من « مصر » (!) ويعتبر ان اتفاقية سيناء « توفر مصالح عربية » !

ولم تحاول مجلة « روز اليوسف » مرة واحدة ان تناقش نصوص اتفاقية سيناء لكي ترى هل هي في مصلحة مصر أو العرب كما تزعم .

وبما ان « روز اليوسف » ملتزمة بعدم الاقتراب من النصوص الكاملة للاتفاقية ، المعلن منها والسري ، وبما ان طرح هذه النصوص للمناقشة العلنية تضع المسؤولين عن « روز اليوسف » في موقف لا يحسدون عليه ، فالمسألة تتحول عند كاتب مثل « عبد الرحمن الشرقاوي » الى مسألة عاطفية وشخصية تربطه برئيس الجمهورية أكثر من أي شيء اخر ، فهو لا يصدق ان السادات قد خرج من المعركة وخان القضية الوطنية ، فيقول « .. أبعد كل ما أكده انور السادات .. مستحيل !! »

وفي عدد ٨ سبتمبر (ايلول) يكتب « عبد الستار الطويلة » مهاجما بيانا أصدره الكتاب في بيروت ، ومنهم كثير من المناضلين الوطنيين والتقدميين ، اعلنوا فيه ادانتهم لاتفاقية سيناء . ويسخر « الطويلة » من كاتبي البيان لانهم قالوا ان الاتفاقية قد استجلبت القوة الاميركية . ولا يعتبر ان هؤلاء المائتين من الفنيين الاميركيين سيقومون بادارة اجهزة تجسس عسكرية بل مجرد آلات « فليبرز » !

وهذه المجلة التي تحاول ان ترتدي ثوب اليسارية تنشر للمدعو عبد الستار الطويلة العبارات التالية :

عبد الرحمن الشرقاوي : عواطفه مع السادات !

« ليس عربيا ان يطمئن العالم على جديتنا وتصميمنا باقامة نقط مراقبة للتأكد من اننا لن نستخدم السلاح الآن . وهذه ليست بدعة ... » !

هذا هو تبرير المجلة للوجود العسكري الاميركي الذي يتيح للعدو ان يسجل كل حركة تقوم بها القوات المسلحة المصرية .

ويبرر « الطويلة » خيانة النظام بقوله « وهل الولايات المتحدة لا تتجسس على مصر وعلى العالم كله بالاقمار الصناعية ومحطات التصنت .. » ؟!

لقد كان في أحد السجون المصرية ضابط محكوم عليه بالاشغال الشاقة لادلائه بمعلومات عسكرية لاسرائيل . وكان هذا الضابط يبرر خيانته بنفس الطريقة التي يبرر بها « الطويلة » خيانة النظام. فقد كان يقول « ما قيمة المعلومات التي افشيتها: اذا كانت اسرائيل تعرف عنا كل شيء من خلال الاقمار الصناعية وطائرات التجسس الاميركية » !

ان ذيلية امثال « الطويلة » قادتهم الى التورط في الحديث بنفس هذه اللغة البغيضة التي تحدث بها الجاسوس .

ونسي ابواق النظام ان ثمة فرق جوهري بين حكاية الاقمار الصناعية التي تتعلق بالعالم كله وبين ان تتنازل دولة عن سيادتها وتمنح دولة استعمارية كبرى حق التجسس عليها . كما نسي ابواق النظام انه على الرغم من هذه الاقمار الصناعية فقد استطاعت القوات المصرية والسورية ان تباغت العدو يوم ٦ اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٣ كما يقول النظام المصري نفسه .

والمسألة لها بالطبع وجه اخر يتعلق بخيانة النظام الحاكم . فالقضية هي ان النظام المصري لم يعد بالفعل بينه وبين الاعداء التاريخيين للشعب المصري أية اسرار يهمه اخفاؤها ، فهو قد تمم بعملية واحدة ما يفوق في خطورته المعلومات التي يمكن أن يقدمها آلاف الجواسيس الى أميركا واسرائيل . فالجاسوس في النهاية لا يبيع سوى بعض المعلومات العسكرية ، أما نظام الحكم في مصر ، وعلى رأسه السادات ، فقد باع مصر كلها واخضعها للسيطرة الاميركية - الاسرائيلية عسكريا وسياسيا واقتصاديا .

كذلك لم يعد لدى « الطويلة » ، وامثاله أية اسرار يخفيها عن اجهزة الامن من مباحث ومخابرات في مصر . فهذه الاجهزة « تعرف كل شيء » فما الحاجة الى اخفاء المعلومات عنها ؟ المهم هو المحافظة على اسطول التاكسيات التي يملكها وتدر عليه دخلا كبيرا يضاف الى دخله من عمولات الاعلانات والنشاطات التجارية الاخرى التي يقوم بها بالتعاون مع الرأسمالي المعروف بسيونس جمعة !

انتهازية توابع السلطة

وتهاجم « روز اليوسف » بيان الوطنيين التقدميين العرب لان البيان « ليس الا خناجر في ظهر القيادة السياسية وللوطنية المصرية وليس الا وقودا لزيادة حدة الحملة المعادية لليسار (!) تلك الحملة التي تقوم بها اشد الفئات رجعية وتعصبا وتخلفا في مصر » !

دائما كان الانتهازيون في مصر يقدمون « نظرية » وجود فئات أشد رجعية من السلطة الحاكمة كتبرير لتاييدهم للسلطة الرجعية المعادية للشعب . وليس هناك جديد في هذه الدعاوى .

وبعد كل ما قدمته المجموعة الحاكمة في مصر من خدمات للمستعمرين والصهاينة تبقى هذه المجموعة : « قيادة وطنية » ! وهكذا تخضع معايير ومقاييس الوطنية للضرورات التي تقتضيها تبعية وذيلية « روز اليوسف » للسلطة ! وهذه « الفئات الاشد رجعية » التي تتحدث عنها « روز اليوسف » هي التي يعيد اليها النظام ممتلكاتها ويخضع القطاع العام لمصالحها ويجعلها مالكة للمؤسسات الصحفية ويتيح لها اخبر فرص الربح والاستغلال والنمو والتضخم الى ما لا حدود. كما ان هذه « الفئات الاشد رجعية » هي التي تسبح بحمد النظام وتدافع عنه وتحميه لانه يمنحها كل هذه الامتيازات التي لم تكن هي نفسها تحلم بها .

ومن هنا فان ادعاء روز اليوسف بانها تعارض الفئات الاشد رجعية يخفي حقيقة تحالفها والتقائها